غريب الآراء في المجرورات عند ابن هشام

الباحثة/ آمال عبد الفتاح محمد إسماعيل

الملخص باللغة العربية:

اشتهر ابن هشام بالتواضع والبر والشفقة ودماثة الخلق، أتقن العربية ففاق الأقران، بل الشيوخ، وتصدر لنفع الطالبين، وانفرد بالفوائد الغريبة، ويعد كتاب مغني اللبيب من أعظم الكتب التي ألفها ابن هشام قدرًا، وأرفعها مقامًا، فبظهوره طغى على كل ما أُلِّف في هذا الدرب من المصنفات فهو كتاب جامع مانع، فيه مطلب كل باحث ومأوى كل طارق؛ حيث حصر فيه مسائل النحو في ثمانية أبواب، وهذا عمل لم يأتِ به أحدٌ قبلهُ، فما من مسألة نحوية إلا طرقها وأبدع الحديث فيها وأوفاها حقها، و لهذا الكتاب مكانة كبيرة عند السابقين، والمعاصرين، انتشر ذكره بين الناس، ولما أحسُّوا بصعوبة أسلوبه، وأهمية ما تناوله من مسائل دقيقة، وضع كثير من العلماء عليه الحواشي والشروح كي يستعين بها الطلبة، فتساعدهم على إدراك الغامض من مسائله، وفهم المراد منها، ويهدف هذا البحث إلى دراسة غريب الاستعمالات التركيبية في المجرورات في هذا الكتاب وبيان آراء النحاة فيها.

الكلمات الدالة: هل تأتي "الكاف" بمعنى المبادرة؟، نوع "ما" إذا سبقت بحرف جر، هل تأتي "إذ" مبتدأ؟.

Summary in English:

Ibn Hisham was famous for his humility, righteousness, compassion, and gentleness of character, Master English, surpass peers, but the elders, It is issued for the benefit of the two students, and is unique in the strange benefits, AndMughni al-Labib is one of the greatest books written by Ibn Hisham destiny, and raise it in rank, qby his appearance Overwhelmed by everythingItoIIn this path of works,It is a comprehensive and preventative book, in which is the requirement of every researcher and the shelter of every Tariq; Where he restricted grammar issues in eight chapters, and this is a work that no one has done before him.This book has a great place among the predecessors and contemporaries, and its mention spread among the people. This research aims to study the strange structural uses in Almjrorat in this book and to clarify the opinions of the grammarians in them.

Keywords: Does "Kef" mean initiative?, Type "what" if preceded by a preposition, Does it come as a "beginner"?.

المبحث الأول: هل تأتي "الكاف" بمعنى المبادرة

الكاف:

تأتي الكاف على وجهين: جارة وللخطاب، والجارة تأتي على وجهين:

أحدهما: أن تكون اسمًا ولها محل من الإعراب بمعنى (مثل) ولا تقع عند سيبويه، والمحققين إلا في الضرورة في الشعر اضطرارًا، ومذهب الأخفش والفارسي وكثير من النحويين، أنه يجوز أن تكون حرفًا واسمًا، فجوزوا في نحو: زيد كالأسد، أن تكون الكاف في موضع رفع والأسد مخفوض بالإضافة. وشذّ أبو جعفر بن مَضَّاء (السيوطي، ١٩٦٤م، صفحة ٣٢٣ ج١)، فقال: أن الكاف اسم أبدًا؛ لأنها بمعنى (مثل)، من ذلك قول الشاعر(من الكامل):

لَوْ كَانَ فِي قَلْبِي كَقَدْرِ قُلَامَةٍ حُبًا لِغَيْرِكِ مَا أَتَتْكِ رَسَائِلِي (العذري، ١٩٨٢م، صفحة ٥٤).

فالكاف هنا تعرب حسب موقعها في الجملة فهي في (كقدر) اسم بمعنى (مثل) في محل رفع اسم كان مؤخر.

قال ابن هشام: "ويقع مثل هذا، في كتب المعربين كثيرًا، قال الزمخشري في قوله تعالى ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾[سورة آل عمران: من الآية ٤٩]، أن الضمير راجع إلى الكاف في "كهيئة الطير"؛ أي: فأنفخ في ذلك الشيء المماثل فيصير كسائر الطيور، ووقع مثل ذلك في كلام غيره، ولو كان كما زعموا لسُمِع في الكلام مثل: مررت بكالأسد (الأنصاري، ١٩٤٨م، صفحة ١٥٤ ج١)، (المرادي، ١٩٩٢م، صفحة ٧٨، ٧٩)، (الموزعي، ١٩٩٣م، صفحة ٣٢٧، ٣٢٨)، (سيبويه، ١٩٨٨م، صفحة ٤٠٨ ج١)

وهذا نص كلام الزمخشري "فأنفخ فيه" الضمير للكاف أي: في ذلك الشيء المماثل لهيئة الطير "فيكون طيرًا"؛ فيصير طيرًا كسائر الطيور حيًّا طيَّارًا (الزمخشري، ٢٠٠٩م، صفحة ١٧٣).

الثاني: أن تكون حرف جر ولها ستة معان:

١) التشبيه: هند كالقمر، ولم يثبت أكثرهم لها غير هذا المعنى.

٢) التعليل: أثبت ذلك قوم منهم الأخفش، وابن برهان (ابن مالك، ١٩٩٠م، صفحة ١٧٣ ج٣) (الأندلسي، ١٩٩٣م، صفحة ٦١٧ ج١) (المرادي، ١٩٩٢م، صفحة ٨٤) ونفاه الأكثرون، وقيد بعضهم جوازه بأن تكون الكاف مكفوفة (بما) كابن مالك فقال: وتُحدِث ما الكافة في

الكاف معنى التعليل، وكحكاية سيبويه: كما أنه لا يعلم فتجاوز الله عنه، والتقدير؛ لأنه لا يعلم زفتجاو الله عنه (سيبويه، ١٩٨٨م، صفحة ١٤٠ ج٣) (المرادي، ١٩٩٢م، صفحة ٨٤).

٣) الاستعلاء: ذكره الأخفش، والكوفيون كقول بعض العرب عندما سئل: كيف أصبحت؟ قال: كخير؛ أي: على خير، والمعنى بخير (الفراء، ١٩٨٣م، صفحة ٤٦٦ ج١) (ابن جني، ١٩٩٣م، صفحة ٣٢٠ ج١) (المرادي، ١٩٩٢م، صفحة ٨٤).

واختلف النحاة في كونها اسمًا في الكلام، أو يختص ذلك بضرورة الشعر، فذهب الأخفش، والفارسي، في ظاهر قوله، وتبعهما ابن مالك على أنها تكون اسمًا في الكلام، وقد كَثُرَ جرها بالحرف (الباء، على، عن) وأضيف إليها ومثل قول الشاعر(من الخفيف):

تيَّم القَلْبُ حبّ كالبدر لا بل فاق حسنًا من تَيَّم القلبُ حُبّا

وأسند إليها فاعلة من ذلك قول الشاعر(من البسيط):

أَتَنْتَهُونَ وَلَنْ يَنْهَى ذَوِي شَطَطٍ كَالطَّعْنِ يَذْهَبُ فِيهِ الزَّيتُ والفُتُلُ (ميمون بن قيس، صفحة ٦٣)

و مبتدأة و مفعولة، لكن كل هذا في الشعر، وذهب سيبويه (سيبويه، ١٩٨٨م، صفحة ٤٠٧، ٤٠٨ ج١)، إلى أن استعمالها اسمًا، إنما يجوز في الضرورة الشعرية، ويجوز زيادة (ما) بعد الكاف، وهي باقية على عملها الجر، قال الشاعر(من الطويل):

ونَنصرُ مَوْلَانَا وَنَعْلَمُ أنّهُ كَمَا النَّاس مَجرُومٌ عليه وجارمُ (علاونة، ٢٠٠٥م، صفحة ١١٥).

بخفض الناس، وزعم بعضهم أن (ما) تكون كافة للكاف فتليها الجملة الاسمية، وتكون (كما) من حروف الابتداء، وهذا إنما يكون إذا قلنا أن (ما) المصدرية لا تُوصَل بالجملة الاسمية، أما إذا كانت عكس ذلك فلا تكون (ما) كافة، بل مصدرية، و (الكاف) جارة للمصدر المنسبك من (ما) وصلتها.

وقال سيبويه (سيبويه، ١٩٨٨م، صفحة ١٤٠ ج٣) وسألته عن قولهم "هذا حقٌ كما أنك ها هنا" فزعم أن العامل في أنّ (الكاف)، و (ما) لغو.

- وزعم الخليل (سيبويه، ١٩٨٨م، صفحة ١١٦ ج٣)أن (الكاف) إذا لحقتها (ما) الكافة قد تجعلها العرب بمعنى (لعلّ) ويصير لها ما للفعل كما صُيِّرَت (ربما) للفعل، وجَعَلَ من ذلك قولهم: انتظرني كما آتيك: والمعنى (لَعَلّي آتيك)، ومن ثَمّ لم ينصبوا بها الفعل كما لم ينصبوا بربَّما، وجعل من ذلك قول الراجز:

لا تَشْتُمِ النَّاسَ كَمَا لَا تُشْتَمُ (العجاج، صفحة ١٨٣). (سيبويه، ١٩٨٨م، صفحة ١١٦ ج٣)، (المرادي، ١٩٩٢م، صفحة ٤٨٤)، (البغدادي، ٢٠٠٠م، صفحة

٢١٤ ج١٠)، أي لعلك لا تُشتَم إن لم تشتمهم ، الشاهد فيه وقوع الفعل بعد(كما) التي هي كاف التشبيه الموصولة (بما) وبذلك هيَّئت لوقوع الفعل بعدها، كما فعل بربما. ومن النحويين من يجعلها بمنزلة (كي) ويجيز النصب بها، وهو مذهب الكوفيين، وذهب الفراء: إلى أن قولهم: "انتظرني كما آتيك" و "لا تشتُم الناسَ كما لا تُشتَمُ" الكاف فيهما للتشبيه، والكاف صفة لمصدر محذوف أي: انتظرني انتظارًا صادقًا مثل إتياني لك؛ أي فِ لي بالانتظار كما أفي لك بالإتيان، وانتهِ عن شتم الناس كـ (انتهائهم عن شتمك) (البغدادي، ٢٠٠٠م، صفحة ٢١٤ ج١٠)

وحكى سيبويه (سيبويه، ١٩٨٨م، صفحة ١٤٠ ج٣): كما أنه لا يعلمُ فتجاوز اللهُ عنه، أي أنه لا يعلم. (أبي حيان الأندلسي، ١٩٩٨م، صفحة ١٧١٥:١٧١٣)

٤) تقع (الكاف) زائدة للدلالة على التوكيد، ومن أشهر الشواهد النحوية على ذلك قوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[سورة الشورى: من الآية١١] فقال ابن مالك: وقد تزاد إن أُمن اللبس يكون الموضوع غير صالح للتشبيه كقوله تعالى: "ليس كمثله شيء" فلابد من عدم الاعتداد بالكاف، لأن الاعتداد بها يستلزم ثبوت شيء لا شيء مثله، وذلك محال، وما أفضى إلى المحال محال (ابن مالك، ١٩٩٠م، صفحة ١٧٠ ج٣) (المبرد، ١٩٩٤م، صفحة ٤١٨ ج٤) (درويش، ١٩٩٩م، صفحة ٢٢ ج٧)

وقال الزجاج وقوله "ليس كمثله شيء" هذه الكاف مؤكدة، والمعنى ليس مثله شيء، ولا يجوز أن يقال: المعنى مثلَ مثلِه شيء؛ لأن من قال هذا فقد أثبت المثْل لله تعالى عن ذلك علوّا كبيرًا (الزجاج، ١٩٨٨م، صفحة ٣٩٥ ج٤).

٥) وقد تأتي أيضًا للتعجب(الموزعي، ١٩٩٣م، صفحة ٣٣٠)، نحو قوله تعالى ﴿وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾[سورة القصص: الآية ٨٢]؛ أي: أعجب لعدم فلاحهم ، ولِقائل أن يقول: ليس التعجب في هذا المثال مستفاد من الكاف، وإنما استُفيد من كلمة (وي) والله أعلم (الموزعي، ١٩٩٣م، صفحة ٣٣١).

٦) المبادرة: وذلك إذا اتصلت بما في نحو (سلم كما تدخل) وهذا المعنى غريب عند ابن هشام حيث قال في المغني المبادرة وذلك إذا اتصلت (بما) في نحو سلم كما تدخل، وصلّ كما يدخل الوقت، ذكره ابن الخباز (السيوطي، ١٩٦٤م، صفحة ٣٠٤ ج١) في النهاية، وأبو سعيد السيرافي (السيوطي، ١٩٦٤م، صفحة ٥٠٧ ج١)، وغيرهما، وهو غريب جدًا (الأنصاري، ١٩٤٨م، صفحة ٢٠٢ ج١)، (الموزعي، ١٩٩٣م، صفحة ٣٣١).

وقد ذكر سيبويه وغيره ممن جاءوا بعده أن (الكاف) لا تأتي إلا للتشبيه حيث قال: وكاف الجر تجيء للتشبيه وذلك قولك: (أنت كزيد) (سيبويه، ١٩٨٨م، صفحة ٢١٧ ج٤).

كان هذا المعنى غريبًا عند ابن هشام وهو محقٌّ في ذلك؛ لعدم سماعه، والسماع حجة قوية، وإذا قيل: سلّم كما تدخل؛ فالمعنى: سلّم عندما تدخل، فالكاف بمعنى (عند) ولم يرد في كلام العرب مجيئها لمعنى المبادرة، وبهذا يكون السيرافي وابن الخباز قد خالفا الإجماع و لم يعتمدا على السماع في مجيئها لهذا المعنى، ولم يذكر أحد من النحاة هذا المعنى للكاف غيرهما.

المبحث الثاني: نوع "ما" إذا سبقت بحرف جر

تأتي (ما) على وجهين: اسمية، حرفية، وكل وجه منهما له ثلاثة أقسام.

فأمّا أوجه الاسمية:

فأحدها: أن تكون معرفة وهي نوعان: إما ناقصة وهي الموصولة نحو قوله تعالى ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ ۗ﴾[سورة النحل: من الآية:٩٦].

وإما تامة وهي نوعان: **عامة** أي مقدرة بقولك: (الشيء)، وهي التي لم يتقدمها اسم تكون هي وعاملها صفة له في المعنى نحو قوله تعالى ﴿إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ ۖ﴾[سورة البقرة: من الآية ٢٧١]؛ أي فنعمَ الشيء هي، والأصل فنعمَ الشيء إبداؤها؛ لأن الكلام في الإبداء والإظهار لا في الصدقات، والنوع الثاني **خاصة:** وهي التي تقدمها الاسم، وتقدّر من لفظ ذلك الاسم نحو (غسلته غسلًا نعمّا) و (ودققته دقًا نعمّا) أي نعمَ الغسل ونعمَ الدّق.

وأكثر النحاة لا يثبت مجيء (ما) معرفة تامة، وأثبته جماعة منهم ابن خروف ونقله عن سيبويه.

والثاني: أن تكون نكرة عن معنى الحرف، وهي أيضًا نوعان: ناقصة وتامة.

فالناقصة هي الموصوف، وتقدّر بقولك: (شيء) كقولهم: (مررت بما معجب لك) أي بشيء معجب لك (الأنصاري، ١٩٤٨م، صفحة ٢ ج٢).

وأما التامة فتقع في ثلاثة أبواب:

أ) التعجب نحو (ما أحسن زيدًا)

ب) باب نعم وبئس نحو(غسلته غسلًا نعمًّا، ودققته دقّا نعمّا)؛ أي نعم نعم شيئا، فما نصب على التمييز عند جماعة من المتأخرين منهم الزمخشري، وظاهر كلام سيبويه أنها معرفة تامة كما سبق.

ج) المبالغة: كقولهم إذا أرادوا المبالغة في الإخبار عن أحد بالإكثار من فعل الشيء كالكتابة (إن زيدًا مما أن يكتب)؛ أي أنه من أمر كتابة، أي أنه مخلوق من أمر وذلك الأمر هو الكتابة (فما) بمعنى شيء (الأنصاري، ١٩٤٨م، صفحة ٢،٣ ج٢).

والثالث: أن تكون نكرة متضمنة معنى الحرف، وهي نوعان:

أولًا: الشرطية : وهي نوعان : زمانية، أثبت ذلك الفارسي وأبو البقاء وأبو شامة وابن بري وابن مالك وهو ظاهر في قوله تعالى ﴿مَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾[سورة التوبة: من الآية ٧] أي استقيموا لهم مدة استقامتهم لكم، وغير زمانية ﴿مَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ۗ﴾[سورة البقرة: من الآية ١٩٧].

ثانيًا: الاستفهامية: ومعناها أي شيء نحو ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ﴾[سورة البقرة: من الآية٦٨] و ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ﴾[سورة البقرة: من الآية ٦٩] و ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ﴾[سورة طه:الآية ١٧].

ويجب حذف ألفها إذا سبقت بحرف جر وإبقاء الفتحة دليلًا عليها نحو (بمَ ، فيمَ، إلامَ، علامَ) وتحذف الألف لبيان الفرق بين الاستفهام والخبر.

فكما لا تحذف (الألف) في الخبر لا تثبت في الاستفهام، وأمَّا قراءة عكرمة (الأندلسي، ١٩٩٣م، صفحة ٤٠٢ ج٨) وعيسى ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾[سورة النبأ:الآية١] فهو نادر وتثبت أيضًا في الضرورة الشعرية.

أما إذا رُكبَت (ما) الاستفهامية مع (ذا) لم تحذف ألفها نحو(لماذا جئتَ)؛ لأن ألفها قد صارت حشوًا.

وتأتي (لماذا) في العربية على عدة أوجه:

أحدها: أن تكون (ما) استفهامية و(ذا) إشارة نحو (ماذا التّواني) و (ماذا الوقوف؟)

الثاني: أن تكون (ما) استفهامية و (ذا) موصولة كقول لبيد(من الطويل):

ألا تسألان المرء ماذا يحاولُ أنَحبٌ فيُقضى أم ضلالٌ وباطلُ

و(ما) مبتدأ بدليل إبداله المرفوع منها، و(ذا) موصول بدليل افتقاره للجملة بعده.

الثالث: أن يكون (ماذا) كله استفهامًا على التركيب كقولك: لماذا جئتَ؟

الرابع: أن يكون ماذا كله اسم جنس بمعنى شيء، أو موصولًا بمعنى الذي.
الخامس: أن تكون (ما) زائدة و (ذا) للإشارة.
السادس: أن تكون (ما) استفهامية و (ذا) زائدة. أجازه جماعة منهم ابن مالك في نحو: (ماذا صنعت؟) والتحقيق أن الأسماء لا تزاد (الأنصاري، ١٩٤٨م، صفحة ٢:٥ ج٢).
عند حذف (ألف) (ما) في حالة سبقها بحرف جر يمكن أن يؤتى بـ (هاء) السكت، قال سيبويه "وأما قولهم: علامَه وفيمَه و حتّامه؟ فالهاء في هذه الحروف أجود إذا وقفت؛ لأنك حذفت الألف من "ما" فصار آخره كآخر ارمه واعزُه" (سيبويه، ١٩٨٨م، صفحة ١٦٤ ج٤).
وقد ذكر الزمخشري في هذه الآية ﴿بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾[سورة يس: الآية ٢٧] أن (ما) استفهامية، وقد تعجب ابن هشام مما ذهب إليه الزمخشري بقوله لهذا ردّ الكسائي قول المفسرين في "بما غفر لي ربي" أنها استفهامية، وإنما هي مصدرية والعجب من الزمخشري، إذ جوّز كونها استفهامية مع ردّه على من قال ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾[سورة الحجر: من الآية ٣٩] أن المعنى بأي شيء أغويتني، بأنّ إثبات الألف قليلٌ شاذ، وأجاز هو وغيره أن تكون بمعنى الذي وهو بعيد؛ لأن الذي غُفر له هو الذنوب، ويبعده إرادة الاطلاع عليها، وإن غُفرَت (الأنصاري، ١٩٤٨م، صفحة ٤ ج٢).
أجاز الفرّاء: أن تكون (ما) في قوله تعالى **(بما غفر لي ربي)** مصدرية واستفهامية بقوله و (بما) تكون في موضع (الذي) وتكون (ما) و (غفر) في موضع مصدر. ولو جعلت (ما) في معنى (أي) كان صوابًا، يكون المعنى: ليتهم يعلمون بأي شيء غفر لي ربي، ولو كان كذلك لجاز له فيه "بمَ غفر لي ربي" بنقصان الألف (الفراء، ١٩٨٣م، صفحة ٣٧٤،٣٧٥ ج٢، ٤٤١ ج٥)، (الزمخشري، ٢٠٠٩م، صفحة ٥٦١)، كما تقول: سَل عمّ شئت، وكما في قوله تعالى ﴿فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾[سورة النمل: من الآية:٣٥].

وقد اعترض الكسائي على إجازة الفرّاء لكون (ما) استفهامية وردّه بقوله لو صحّ هذا – يعني الاستفهام– لقال (بمَ) من غير ألف، وقال الفراء أنه يجوز أن يقال (بما) بالألف وأنشد فيه أبياتًا، ولكنه خصَّ ذلك بالضرورة (الأندلسي، ١٩٩٣م، صفحة ٣١٦ ج٧) .

وتبع الزمخشريُ مذهبَ الفراء في أن تكون (ما) استفهامية وذلك بقوله: ويحتمل أن تكون استفهامية، يعني بأي شيء غفر لي ربي، وقال في الآية ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾[سورة الحجر: من الآية:٣٩] أن (ما) مصدرية؛ حيث يقول الباء للقسم، و(ما) مصدرية، وجواب القسم "لأُزينَنّ" والمعنى: أقسم بإغوائك إياي لأزينن لهم، والظاهر عند أبي حيّان أنها مصدرية (الزمخشري، ٢٠٠٩م، صفحة ٥٦١، ٨٩٣)، (الأندلسي، ١٩٩٣م، صفحة ٣١٦ ج٧).

وهذا نص كلام الزمخشري في قوله تعالى﴿بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾[سورة يس: الآية ٢٧] "فإن قلت: (ما) في قوله تعالى "بما غفر لي ربي"؛ أيٌّ المآتُ هي؟ قلتُ المصدرية، أو الموصولة أي: بالذي غفر لي ربي من الذنوب ويحتمل أن تكون استفهامية يعني: بأي شيء غفر لي ربي؛ يريد به ما كان منه معهم من المصابرة؛ لإعزاز الدين حتى قُتِلَ، إلّا أنّ قولك: "بمَ غفر لي" بطرح الألف أجود وإن كان إثباتها جائزًا يُقال قد علمت بما صنعت هذا؟ أي بأي شيء صنعت وبمَ صنعت" (الزمخشري، ٢٠٠٩م، صفحة ٨٩٣).

وقد نقل لنا أبو حيّان قولَ الزمخشري بقوله: وقال الزمخشري: ويحتمل أن تكون استفهامية يعني: بأي شيء غفر لي ربي؟ يريد ما كان منه معهم من المصابرة حتى قيل: إن قولك "بما غفر لي ربي" يريد ما كان منه معهم بطرح الألف أجود وإن كان إثباتها جائزًا فقال: قد علمت بما صَنَعت هذا وبمَ صنعت.

والمشهور أن إثبات الألف في (ما) الاستفهامية إذا دخل عليها حرف جر مختص بالضرورة نحو قول الشاعر(من الوافر):

عَلَى مَا قَامَ يَشْتُمُنِي لَئِيْمٌ كَخِنْزِيْرٍ تَمَرَّغَ فِي رَمَادِ (ثابت، ١٩٩٤م، صفحة ٩٠)

وحذفها هو المعروف في الكلام (الأندلسي، ١٩٩٣م، صفحة ٣١٦ ج٧).

وذكر ابن الأنباري ذلك أيضًا ثم ذكر أن فيه ضعفا بقوله: "والثالث أن تكون استفهامية وفيه معنى التعجب من مغفرة الله، وتقديره، بأي شيء غفر لي ربي على التحقير لعمله والتعظيم لمغفرة ربه، إلا أن في هذا الوجه ضعفًا لأنه لو كانت (ما) ههنا استفهامية، لكان ينبغي أن تُحذف الألف منها لدخول حرف الجر عليها لأن ما الاستفهامية إذا دخل عليها حر الجر حذفت ألفها للتخفيف" (الأنباري، ١٩٨٠م، صفحة ٢٩٣ ج٢).

وقد ذكر سيبويه: أن (ما) المصدرية مع ما بعدها تُؤول بمصدر ذكر ذلك في باب (هذا باب دخول الرفع في هذه الافعال المضارعة للأسماء) حيث يقول ومن ذلك أيضًا (ائتني

بعد ما تَفرُغُ)، فـ (ما) و(تفرغ) بمنزلة (الفراغ) وفرغ صلة وهي مبتدأة، وهي بمنزلتها في (الذي) إذا قلت: بعد الذي تفرغ، فتفرغ في موضع مبتدإ؛ لأن الذي لا يعمل في شيء، والأسماء بعده مبتدأة (سيبويه، ١٩٨٨م، صفحة ١١ ج٣).

كما قال أيضًا "وتقول: ائتني بعدَ ما تقول ذاك القول، كأنك قلت: ائتني بعد قولك ذاك القول، كما أنك إذا قلت بعد أن تقولَ فإنما تريد ذاك" (سيبويه، ١٩٨٨م، صفحة ١٥٦ ج٣).

ردّ ابن هشام قولَ الزمخشري أن (ما) في قوله تعالى ﴿بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي﴾[سورة يس: من الآية٢٧] تكون بمعنى (الذي) بقوله: وهو بعيد لأن الذي غُفرَ له هو الذنوب ويبعده إرادة الاطلاع عليها وإن غفرت، وسبقه في ذلك شيخه أبو حيّان في ذلك أيضًا بقوله: وجوزا أن يكون بمعنى الذي والعائد محذوف؛ تقديره: بالذي غفره لي ربي من الذنوب، وليس هذا بجيد، إذ يؤول إلى تمني علمهم بالذنوب المغفرة، والذي يحسن تمني علمهم بمغفرة ذنوبه وجعله من المكرمين (الأنصاري، ١٩٤٨م، صفحة ٤ ج٢)، (الأندلسي، ١٩٩٣م، صفحة ٣١٦ ج٧).

وفي حاشية الأمير وأجيب بأن (ما) واقعة على الغفران، على أنه لا يبعد إرادة الاطلاع على الذنوب، ليعلم سعة كرم إلهه وشرف دينه، حيث غفرت منه هذه الذنوب مع عظمها (الأنصاري، ١٩٤٨م، صفحة ٤ ج٢)

ذكر كثير من النحاة أن (ما) في الآية موصولة منهم: الزمخشري، وابن الأنباري وغيرهم (الأنباري، ١٩٨٠م، صفحة ٢٩٣ ج٢) (الزمخشري، ٢٠٠٩م، صفحة ٨٩٣).

لم يذكر الزمخشري في (ما) من قوله تعالى ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[سورة الحجر: الآية٣٩] إلا أنها مصدرية، وليس فيه أي رد على من ذهب إلى أنها استفهامية، ولكنه ذكر ذلك في قوله تعالى ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾[سورة الأعراف: الآية ١٦] حيث قال: (فبما أغويتني) فبسبب إغوائك إياي...، وقيل ما للاستفهام كأنه قيل: بأي شيء أغويتني، ثم ابتدأ لأقعدن، وإثبات الألف إذا أدخل حرف الجر على ما الاستفهامية قليل شاذ (الزمخشري، ٢٠٠٩م، صفحة ٣٥٧، ٣٥٨، ٥٦١)، أي لا يخرّج عليه القرآن، وهو الفصيح، ولكن إثباتها جائز وذلك مختص بالضرورة.

من ثم لم يكن ابن هشام محقا في تعجبه من قول الزمخشري لأنه أجازه مع قلته ولم يمنعه.

فبذلك تكون (ما) مصدرية – في هذه الآيات–؛ لأنها تؤول مع ما بعدها بمصدر ومعنى الكلام في آية (يس) ﴿بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾[سورة يس: الآية٢٧] أنه يا ليت قومي يعلمون بغفران ربي لي وجعله إياي من المكرمين، ويكون المعنى في الآية الأخرى ﴿بِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾[سورة الحجر: من الآية٣٩] قال إبليس لربه أنه بسبب إغوائك لي لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين.

ويجوز كونها استفهامية ولم ينفرد بهذا القول الزمخشري، فقد سبقه في ذلك الفرّاء، وذكره أبو حيان، وابن الأنباري ثم ذكر أن فيه ضعفًا، وغيرهم من النحاة، ومنهم من قال بأنها موصولة، و لكن كونها مصدرية أقرب إلى المعنى.

المبحث الثالث: هل تأتي "إذْ" مبتدأ؟

تأتي إذ على أربعة أوجه:

الوجه الأول: أن تكون اسمًا للزمن الماضي.

- وتأتي على أربع حالات:

١) أن تكون ظرفًا وهو الغالب نحو قوله تعالى﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[سورة التوبة: من الآية٤٠].

٢) أن تكون مفعولًا به نحو قوله تعالى﴿وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ﴾[سورة الأعراف: من الآية٨٦] وقوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ﴾[سورة البقرة: من الآية٣٠] والأصل: واذكر إذ.

٣) أن تكون بدلًا من المفعول به، نحو قوله تعالى ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾[سورة مريم: الآية ١٦] فـ (إذ) بدل اشتمال من (مريم) وهي مفعول به، على حد البدل في ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾[سورة البقرة: من الآية ٢١٧].

٤) أن يكون مضافًا إليها اسم زمان صالح للاستغناء عنه نحو: (يومئذ، وحينئذ) أو غير صالح له نحو قوله تعالى ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾[سورة آل عمران: الآية ٨].

الوجه الثاني: أن تكون اسمًا لزمن المستقبل، هذا المعنى اختاره ابن مالك، نحو قوله تعالى ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾[سورة الزلزلة: الآية٤].

والجمهور لا يثبتون هذا المعنى لـ(إذ) وينزلون المستقبل منزلة الماضي الذي قد وقع (المرادي، ١٩٩٢م، صفحة ١٨٨)، (الموزعي، ١٩٩٣م، صفحة ٧٩:٨١).

الوجه الثالث: أن تكون للتعليل كقوله تعالى﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾[سورة: الزخرف: الآية٣٩].

الوجه الرابع: أن تكون للمفاجئة، وهي الواقعة بعد (بينا) أو (بينما) نص على ذلك سيبويه بقوله: وأمّا (إذا) فلِما يُستقبل من الدهر، وتكون (إذ) مثلها أيضًا، ولا يليها إلا الفعل الواجب، وذلك قولك: بينما أنا كذلك إذ جاء زيد (سيبويه، ١٩٨٨م، صفحة ٢٣٢ ج٤).

وزعم الجمهور أن: إذ لا تقع إلّا ظرفًا أو مضافًا إليها وأنها في نحو "واذكروا إذ كنتم قليلًا" ظرفٌ لمفعول به محذوف، أي واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم قليلًا (الأنصاري، ١٩٤٨م، صفحة ٧٤،٧٥ ج١).

ومن الظروف الزمانية: (إذ) وهي ظرف مبني على السكون، وتقع على الزمن الماضي ويكشف عن معناها جملة بعدها فهي توضَح بالمبتدأ أو الخبر: تقول: جئتك إذ زيدٌ قائم. أو توضح بالفعل والفاعل تقول: جئتك إذ قام زيد، وجئتك إذ يقوم زيد، وإذ زيد يقوم، ولا يحسُن إذ زيدٌ قام؛ لأن إذ (ظرف زمان ماضي وما بعدها في محل جر بالإضافة).

- قال سيبويه: "جملة هذا الباب أن الزمان إذا كان ماضيًا أضيف إلى الفعل، وإلى الابتداء والخبر؛ لأنه في معنى إذ، فأضيف إلى ما يضاف إليه إذ" (سيبويه، ١٩٨٨م، صفحة ١١٩ ج٣).

وقد أجاز الزمخشري أن تأتي (إذ) مبتدأ ، واستغربه ابن هشام بقوله ومن الغريب أن الزمخشري قال في قراءة (الخطيب، ٢٠٠٢م، صفحة ١٦٥ ج١) بعضهم ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾[سورة آل عمران: من الآية١٦٤] أنه يجوز أن يكون التقدير: مَنُّهُ إذ بعث، وأن تكون في محل رفع كإذا في قولك: أخطَب ما يكون الأمير إذا كان قائمًا، لَمِن منِّ الله على المؤمنين وقتُ بعثه (الأنصاري، ١٩٤٨م، صفحة ٧٥ ج١).

وبالمقارنة بين نص ابن هشام ونص الزمخشري يتضح أن ابن هشام نَقَلَ بالمعنى، وغالب اللفظ وقوله ابن هشام –إنه يجوز– لم يقع في نص الزمخشري حتى يحكيه عنه كما ذكر الدماميني أن كلمة (إن) من قوله (أنّه) لا يجوز فيها إلا الفتح؛ وذلك لأن هذا الكلام ليس من كلام الزمخشري؛ ومن ثَمّ فلا تكسر همزة إنّ (الدماميني، ٢٠٠٧م، صفحة ٣١٢ ج١).

- قال الزمخشري: وقُرئ: لَمن منِّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم، وفيه وجهان: أن يراد لَمن منّ اللهُ على المؤمنين منّه، أو بعثه، إذ بعث فيهم فحُذف لقيام الدلالة، أو يكون إذ في محل الرفع كإذا في قولك: أخطَبُ ما يكون الأمير إذا كان قائمًا، بمعنى: لَمن منّ الله على المؤمنين وقتُ بعثه (الزمخشري، ٢٠٠٩م، صفحة ٢٠٤) (الأندلسي، ١٩٩٣م، صفحة ١٠٩ ج٣).

- واستغرب ابن هشام (إذ) مبتدأ وأوضح ذلك بقوله ومن الغريب أن الزمخشري قال في قراءة بعضهم لَمن منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولًا من أنفسهم أنه يجوز أن يكون التقدير: منّه إذ بعث وأن تكون (إذ) في محل رفع كإذا في قولك :أخطب ما يكون الأمير إذا كان قائمًا؛ أي لَمن منّ الله على المؤمنين وقت بعثه، فمقتضى هذا الوجه أن (إذ) مبتدأ ولا نعلم لذلك قائلًا، ثم نظيره بالمثال غير مناسب؛ لأن الكلام في (إذ) لا في (إذا)، وكان حقَه أن يقول :إذ كان لأنهم يقدّرون في هذا المثال ونحوه (إذ) تارة و(إذا) أخرى بحسب المعنى المراد، ثم ظاهره أن المثال يُتكلم به هكذا، والمشهور أن حذف الخبر في ذلك واجب، وكذلك المشهور أن (إذا) المقدرة في المثال في موضع نصب ولكن جوّز عبد القاهر كونها في موضع رفع تمسكًا بقول بعضهم: أخطَبُ ما يكون الأمير يوم الجمعة بالرفع، فقاس الزمخشري (إذ) على (إذا) والمبتدأ على الخبر (الأنصاري، ١٩٤٨م، صفحة ٧٥ ج١).

- كما وضح ابن هشام أنه لم يقل أحد من النحاة أن (إذ) تقع مبتدأ؛ لأن (إذ) ظرف والظروف لا تقع مبتدأ بل تقع أخبارًا وقوله وتنظيره بالمثال غير مناسب؛ لأن الكلام في (إذ) لا في (إذا) وكان حقه أن يقول: إذ كان لأنهم يقدرون في هذا المثال ونحوه (إذ) تارة و(إذا) أخرى بحسب المعنى المراد (الأنصاري، ١٩٤٨م، صفحة ٧٥ ج١).

- لأن الحديث في الآية عن (إذ) وليس عن إذا، والزمخشري قاس (إذ) على (إذا) في نحو: أخطب ما يكون الأمير إذا كان قائمًا، وإنما تقدّر (إذا) عند أكثر البصريين نحو: ضربي زيدًا قائمًا، فيكون الأصل: ضربي زيدًا إذا كان قائمًا؛ أي ضربي زيدًا حاصل إذا كان قائمًا، فيكون إعرابه أن (ضربي) مبتدأ و(الياء) مضاف إليه من إضافة المصدر إلى فاعله، (زيدًا) مفعول به، (إذا) خبر للمبتدأ (ضربي)، و(كان) تامة؛ لأنها لو كانت ناقصة لكان خبرها قائمًا، ولو كان(قائمًا) خبرها لجاز أن يعرِّف أن يكون معرفة،

ولامتنع أن تقع موقعه الجملة الاسمية المقرونة بواو الحال، ولكن العرب التزمت تنكيره، وأوقعت موقعه الجملة الاسمية المقرونة بواو الحال، فعلم أنه حال لا خبر،

ومثال وقوع الجملة المذكورة موقعه قول النبي صلى الله عليه وسلم "أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد". (ابن مالك، ١٩٩٠م، صفحة ٢٧٨ ج١)، وحذف الخبر في نحو ذلك واجب ويكون التقدير: ضربي زيدًا حاصل إذا كان قائمًا، وتكون (إذا) ظرفًا في موضع نصب و(كان) تامة، و (قائمًا) حال منصوبة، وإعراب الآية التي ذكرها الزمخشري والقراءة التي فيها "لَمن منّ الله على المؤمنين" يكون كالآتي (لمن) اللام واقعة في جواب قسم مقدّر، (مِنْ) و (منّ) جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر مقدم، و(إذ) ظرف زمان مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، "بعث" فعل ماض والفاعل ضمير مستتر تقديره (هو) و (فيهم) جار ومجرور، و(رسولًا) مفعول به للفعل (بعث)، والجملة في محل جر بإضافة (إذ) إليها. والمعنى: وقت بعثه.

وقال الدماميني : "هذا تشنيع على الزمخشري، ولعل الزمخشري لم ينتبه إلى هذا القياس" (الدماميني، ٢٠٠٧م، صفحة ٣١٣ ج١).

وتنظير الزمخشري الآية بالمثال أمر غريب؛ لأن المشهور أن (إذا) في المثال مقدرة في نصب، ولكن جوّز عبد القاهر كونها في موضع رفع تمسكاً بقول بعضهم: أخطب ما يكون الأمير يوم الجمعة بالرفع في (يوم) وتكون (إذا) الحالة محله في محل رفع مثله، وتبع الزمخشريُّ عبدَ القاهر، ثم قاس (إذ) في الآية على (إذا) التي حملها عبد القاهر على (يوم) فقياسه (إذ) على (إذا) و (المبتدأ) على (الخبر) أمر غير صحيح كما وضحه ابن هشام، وهو أمر غير مناسب لاختلاف الزمان؛ لأن إذ للزمن الماضي و إذا للمستقبل.

المصادر والمراجع:

- ابن مالك جمال الدين محمد بن عبد الله الطائي الجي اني الأندلسي المعروف ابن مالك. (١٩٩٠م). شرح التسهيل (الإصدار ١، المجلد ٣). (محمد بدوي المختون عبد الرحمن السيد، المحرر) مصر، الجيزة: هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان.
- أبي العباس محمد بن يزيد المبرد. (١٩٩٤م). المقتضب (الإصدار ٢). (محمد عبد الخالق عضيمة، المحرر) القاهرة.
- أبي الفتح عثمان ابن جني. (١٩٩٣م). سر صناعة الإعراب (الإصدار ٣، المجلد ١). (حسن هنداوي، المحرر) دمشق: دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع.
- أبي حيان الأندلسي. (١٩٩٨م). ارتشاف الضرب من لسان العرب (الإصدار ١). (رجب عثمان محمد، المحرر) القاهرة: مكتبة الخانجي.
- أبي زكريا يحيى بن زياد الفراء. (١٩٨٣م). معاني القرآن (الإصدار ٣، المجلد ١). بيروت لبنان: عالم الكتب.
- الأنباري ,أ .١٩٨٠١) .م .(البيان في غريب إعراب القرآن) .ط .ع .طه (.Ed ,مصر :الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- البغدادي ,ع .٢٠٠٠١) .م .(خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب .(.ed ٤)مصر :مكتبة الخانجي.
- الحسن بن قاسم المرادي. (١٩٩٢م). الجنى الداني في حروف المعاني (الإصدار ١). (فخر الدين قباوة، محمد نديم فاضل، المحرر) بيروت– لبنان: دار الكتب العلمية.
- الخطيب ,ع .٢٠٠٢١) .م .(معجم القراءات .(.ed ١)دمشق :دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع.
- الدماميني ,م .ب٢٠٠٧) .م .(شرح الماميني على مغني اللبيب) .(.ed ١)أ .ع .عناية (.Ed , بيروت -لبنان :مؤسسة التاريخ العربي.
- الزجاج ,أ .إ١٩٨٨) .م .(معاني القرءان) .(.ed ١)ع .ا .شلبي (.Ed ,بيروت -لبنان :عالم الكتب.
- الزمخشري ,أ .٢٠٠٩١) .م .(تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل) .(.ed ٣)خ .م .شيحا (.Ed ,بيروت لبنان :دار المعرفة.
- ثابت ,ح .ب١٩٩٤) .م .(ديوان حسان بن ثابت .(.ed ٢)بيروت لبنان :دار الكتب العلمية.

- جلال الدين، ت السيوطي. (١٩٦٤م). بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة (الإصدار ١، المجلد ١). (محمد أبو الفضل إبراهيم، المحرر) مصر: مطبعة عيسى الحلبي وشركاه.
- جمال الدين بن هشام الأنصاري. (١٩٤٨م). مغني اللبيب وبهامشه حاشية الأمير (المجلد ١،٢). دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى الحلبي وشركاه.
- جميل بن عبد الله بن معمر العذري. (١٩٨٢م). ديوان جميل بثينة. بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر.
- درويش ,م .١٩٩٩) .م .(إعراب القرءان الكريم وبيانه .(.ed ٧)دمشق :دار ابن كثير.
- رؤبة بن العجاج. (بلا تاريخ). مجموع أشعار العرب وهو مشتمل على ديوان رؤبة بن العجاج. (وليم بن الورد البروسي، المحرر) الكويت: دار ابن قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع.
- سيبويه أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر المعروف بـــ سيبويه. (١٩٨٨م). الكتاب (الإصدار ٣، المجلد ١، ٣). (عبد السلام محمد هارون، المحرر) مصر: مكتبة الخانجي.
- علاونة ,ش .ر٢٠٠٥) .م .(عمرو بن براقة الهمداني سيرته وشعره) .(.ed ١)ع .ا .النجدي , (.Edعمان الأردن :دار المناهج للنشر والتوزيع.
- لمحمد بن يوسف الشهير بـــ أبي حيان الأندلسي. (١٩٩٣م). تفسير البحر المحيط (الإصدار ١، المجلد ١). (الشيخ علي محمد معوض عادل أحمد عبد الموجود، المحرر) بيروت– لبنان: دار الكتب العلمية.
- محمد بن علي بن إبراهيم بن الخطيب الموزعي. (١٩٩٣م). مصابيح المغاني في حروف المعاني (الإصدار ١). (عائض بن نافع بن ضيف الله العمري، المحرر) دار المنار للطباعة والنشر.
- ميمون بن قيس. (بلا تاريخ). ديوان الأعشي الكبير. (محمد حسين، المحرر) مكتبةالآداب بالجماميز، المطبعة النموذجية.